أنا العاشق الفرد ... والبحر أنثاي

جودت فخر الدين

- ١ -

محفور فوق غيوم الزمن المخبوء ، ومحفور فوق دمي :
« هذا المترنح في الغمرات يسافر معتمرا بالخوف
لا يسري الا محفوفا بالاهوال
... ويصاب بأعراض الزلزال
فيهرول فوق صحارى الجدب ، يزفّ لهـا بشرى
الطوفان وبشرى الخسف » .

- ٢ -

رجعت الى ضفة من ندى الذكريات
دعوني أعدّ احتمالات هذا الشتاء
وأحصي أهازيج قلبي
أجاهر اني القتيل واني الاخير واني ارتجال المسافات
لا تبدأوا بالظنون
فاني سليل الخرائب والامسيات الحزينة
ثم انظروا ،
هل تروا كيف لوحني البحر؟ حين استبدّ بي العشق
واشتعلت أنجم للمواعيد عند انطفاءات دمعي
تركت على شاطىء للرماد احتمالات ظلّي
وعدت الى ضفة من ندى الذكريات
أنا الآن منتهب كانتظار كئيب
ولكنني ضالع بالعداوات ، أو ضالع بالهوى
كيف لي أن ألملم شعثي ؟ وأعلن في حمأة الشوق ناري؟
لماذا يفارقني الارتعاش وتهجرني شهوتي ؟
أين يمكنني الآن أن أحتمي من هموم السؤال ؟
سأبسط صحراء من ظمأي ، وأهيىء متسعا للكآبة
أصرخ : اني القتيل واني الاخير واني احتراق المسافات
فليحذر الرمل خطوي
أنا العاشق الفرد ، والبحر أنثاي
فانتظروا صورتي في المياه الثقيلة
ثم اذكروا ، عندما تخرج الارض خيراتها
انني ذاهب ، ذاهب ، في التراب
واني أعدّ احتمالات هذا الشتاء
وأحصي أهازيج قلبي .

- ٣ -

... وندرك في المتاهة اننا لا ننحني
ونتيه ، يمضغنا التعرج ، كيف تخدعنا الفصول ؟
نودّ لو انتضى أتعابنا الزمن الخجول .
نودّ لو السماء تفارق الصفو الذي اعتادته ، تخلع صحوها ،
ويجيء من خلف الردى غيم يراوده الهطول .
لماذا نحن نطلق في حنايا الخوف أشرعة
وننسى في غضون الوقت أشرعة
كثيرا ما تمرّ بنا السحابات الرشيقة ،
تحتمي أضغاثنا بالظل ، بالوهن القديم ، وبالظنون
ينداح في أوزارنا قمر الشجون
لماذا لا يتاح لنا ؟ فنحفر في القذى حدق العيون
لماذا نحن نضرب في القفار ؟ فلا تهادننا
وثمة بارق ينسلّ من دمنا ، سليل ، حـائر ، في الطين مغلول .
ويطفر كل حين كالدموع ،
فيشرئبّ من الحصى عشب كذوب الفجر مبلول .
تسافر في سكون الصحو أدمعنا
وتسكن في الشتاءات التي لا تنطوي أحزاننا
ونتيه ... ندرك في المتاهة اننا لا ننحني
ونموت أحيانا
فندرك في شموخ الموت
ان عيوننا سكنت على الافق البعيد ، فلن تعود
وان مسكنها الرحيل .
وان الريح في الغابات لا تنفكّ تعول
ليس يوهنها العويل .
... ونضرب في القفار فلا تهادننا
ويبدأ من رؤى أضغاثنا الحلم الطويل .

بيروت